المحاضرة الثانية: أهم أفكار النظرية النقدية والانتقادات الموجهة لها

أهم الأفكار التي عرضتها النظرية النقدية: تختلف النظرية النقدية عن بقية النظريات الفكرية والفلسفية في كونها لا تنطلق من فكرة واحدة محددة ،إذ تعرض النظرية النقدية من خلال طروحات مفكريها جملة من المقولات والأفكار تستند كلها على مبدأ النقد، الذي يشكل المحور الأساسي للنظرية، ويمكن رصد أهم الأفكار التي تعرضت لها مدرسة فرانكفورت في النقاط الآتية:

أ- مقولة التشيئ والاغتراب:

مقولة التشيئ من الأفكار الأساسية للنظرية النقدية وتعبر هذه المقولة في أبسط أشكالها عن أن المجتمع والبشر ليسو في واقع حياتهم ما يمكن أن يكونوه بحسب ماهيتهم وإمكاناتهم، ذلك أنهم في الحقيقة مغتربون عن هذه الإمكانات وتلك الماهية، فالمجتمع الصناعي المتقدم الذي ينصب عليه حديثهم يكشف عن اغتراب الانسان وتشيئه في ظواهر عديدة ومتنوعة من هذه الظواهر.

لقد تحول الانسان في ظل علاقات العمل الصناعية والرأسمالية الى مجرد عنصر أو جزء ضئيل من جهاز الانتاج الهائل، وصار عجلة صغيرة مجهولة قابلة لأن يستبدل بها غيرها داخل العالم التقني الضخم، الذي يصعب الإحاطة بشبكته المعقدة أو بالقوى التي تحركه.

ويرجع أصحاب النظرية النقدية أسباب التشيئ والاغتراب للنظام الرأسمالي، فعلاقات الانتاج والسوق الرأسمالية هي المسؤولة عن عبادة السلع أو صنميتها التي أضفت على علاقات الناس بالأشياء وببعضهم البعض طابع السلعة.

ب- العقل الآداتي أو العقلانية التقنية:

يقصد فلاسفة النظرية النقدية بالعقل الآداتي أو العقلية التقنية نوعا من التفكير السائد أو المجتمع الصناعي الحديث، ويطلق عليه أيضا اسم العقل الذاتي والتقني والشكلي، ويصفونه على لسان ماركوز في كتابه الشهير التفكير ذو البعد الواحد،ويتضح هذا التفكير بأجلى صوره في أسلوب التفكير العلمي والتقني.

ويؤكد فلاسفة النظرية النقدية أن الانسان الذي تحكمت فيه العقلانية التقنية لا ينفك يفرض تقنياته المتجددة على الطبيعة والمجتمع تحقيقا لإرادته في عقلنتها، غير أنه لا ينتبه من ناحية أخرى الى أن هذه التقنيات ذاتها هي نتاج تفكيره وإن كان يعدها في النهاية حقائق موضوعية ثابتة ومستقلة عنه،

ويتعامل معها كأنه واقع تحت رحمتها وخاضع لها، ويسوقه هذا الى التوقف عاجزا إزاء كل ماهو قائم ومستقر أو إلى التصالح معه.

ج- القمع والتسلط في المجتمعات الصناعية:

يرجع الفضل في الترويج لهذه المقولة والإلحاح عليها ل: "هربرت ماركوز"، الذي حاول أن يجد لها مبررا معقولا من كتابات فرويد عن فلسفة الحضارة، ومن فلسفة التحليل النفسي، حيث استند إلى زعم فرويد أن التطور الاجتماعي والحضاري الذي حققته البشرية لم يتم إلا بالقمع المستمر للدوافع والحاجات الإنسانية الأولية، ويسري هذا القمع أو الكبت الضروري على تطور شخصية الفرد، إذ يحقق القمع الواعي احترام النظم الاجتماعية على الدوام، ويزيد ماركوز على فرويد فيذهب إلى أن هذا القدر الضروري من القمع قد أضيف إليه قدر غير ضروري من القمع الذي فرضته مصالح السلطة الحاكمة ومؤسساتها وتنظيماتها.

د- الطابع الثوري للنظرية:

من أبرز خصائص النظرية النقدية أنها نظرية ثورية فهي تريد أن تكون بديلا عن النظرية التقليدية التي تقر الواقع القائم بحكم موقفها النظري وأسلوبها في النفكير، ولذلك يوجه أصحاب تانظرية انتقاداتهم الحادة للإتجاهات الفسفية الأخرى كالوضعية والبراغماتية، وهم يعبرون من خلال هذا النقد عن مطالبتهم بتغيير هذا المجتمع.

هـ- أنماط المعرفة والمصالح الموجهة لها:

ويقصد بها طبيعة المصالح التي توجه المعرفة في عملية البحث العلمي، ويحدد هابرماس في اطارها ثلاث أنماط من العلوم وهي: العلوم التجريبية والتحليلية والعلوم التاريخية والتفسيرية وعلوم الفعل والسلوك المنهجية، ويقابل هذه الأنماط الثلاثة أنواع من المصالح الموجهة لعملية المعرفة بحيث تناظر العلوم التجريبية والتخليلة مصلحة معرفية علمية، أما علوم الفعل والسلوك فتتحه لتحقيق تحرير الإنسان من ألوان القهر الفطرية وتمكينه من الخلاص منها.

ذ

2- نقد النظرية النقدية:

أولا: سلبيات النظرية النقدية

- ✓ يؤخذ على النظرية النقدية أنها لم تستطع أن تقيم بنية منهجية أو نسقية محكمة متماسكة، ولذلك بقيت فلسفة حرة مفتوحة تعبر عن نفسها في صورة مقالات متفرقة لا في بناء مترابط دقيق.
- ✓ في نقدهم للعقلانية والتنوير نظرو اليه من منظور غربي وحسب وبذلك وقعو في التمركز حول الذاتية الغربية.
- ✓ اختلاف توجهات مدرسة فرانكفورت لما بعد الحداثة عن مدرسة فرانكفورت في فترة الثلاثينيات من القرن العشرين.
- ✓ استبعدت المدرسة اهتمامها بالتاريخ والاقتصاد الى حد كبير وانحرفت انحرافا كبيرا عن مبادئ الماركسية الكلاسيكية كما عند الجيل الثاني من مفكري فرنكفورت.
- ✓ همشت النظرية النقدية مع هابرماس الطبقة العاملة باعتبارها طبقة ثورية سياسية فاعلة ومغيرة.

ثانيا: إيجابيات النظرية النقدية

- ✓ أنها انتقدت التوجهات الرأسمالية بالتقويض والتشريح والتفكيك
- ✓ انتقدت النظريات العلمية والوضعية التي أهملت الانسان والذات والمجتمع والمصلحة الاجتماعية والقيم الأخلاقية، واعتبرت الانسان موضوعا مشيئا، تتحكم فيه الحتميات الجبرية وأنه لا قوة له ولا فاعلية في صنع التاريخ أو تغيير المجتمع.
- ✓ جاءت النظرية النقدية لتصحيح أوضاع المجتمع وتغييرها، وذلك عن طريق تعرية المؤسسات الرأسمالية المهيمنة وفضح أوهامها الإيديولوجية وتطوير المفاهيم الماركسية في ثوب جديد، أو إعادة صياغتها مرة أخرى كما فعل هابرماس، وقد تحققت فعلا قطيعة ابستيمولوجية بين النظرية النقدية القديمة والنظرية النقدية الجديدة.